الملاحق

الملحق رقم (١)

نحو جبهة متحدة في مواجهة الديون [١]

الرئيس توماس سانكارا

تحليل أصل ديون البلدان الأفريقية

إننا نعتقد بضرورة النظر إلى الديون من حيث النشأة والأصل. فالديون ترجع في أصولها إلى العقد الاستعماري. إن هؤلاء الذين أقرضونا المال هم ذاتهم الذين استعمرونا. إنهم نفس الأشخاص الذين تولوا إدارة بلادنا واقتصاداتنا. إنهم هؤلاء المستعمرون الذين أوقعوا أفريقيا في الديون من خلال أشقائهم وأبناء عمومتهم الذين قاموا بمهمة الإقراض.

لا توجد لنا أدنى علاقة بهذه الديون، وعليه لا نستطيع دفعها. لقد اتخذت الديون طابعاً استعمارياً جديداً حينما تحول الدائنون تحت عباءة «الخبراء الفنيين». إنهم الذين قدموا لنا التمويل. يقولون بالفرنسية على الكفيل أو المانح المالي a bailleur defoda والذي يعني حرفياً الشخص الذي يتثاءب أو يسحب الأموال. هذا المصطلح نستخدمه بالفرنسية في حياتنا اليومية، كما لو أن هناك رجال يكفي تثاؤبهم (أي فتح أفواههم) لتحقيق التنمية عند الآخرين.. لقد نُصحنا

(١) في ٢٧ يوليو ١٩٨٧ ألقى سانكارا هذا الخطاب أمام الدورة الخامسة والعشرين لقمة منظمة الوحدة الأفريقية في أديس أبابا، أثيوبيا. (ترجمة المؤلف بتصرف).

بالذهاب إلى هؤلاء المقرضين حيث قُدمت إلينا مجموعة من المقترحات من قبل مؤسسات مالية جيدة. كنا مدينين لمدة خمسين أو ستين عاماً وربما أكثر. هذا يعني أننا قد أجبرنا على أن تقدم شعوبنا تنازلات لمدة خمسين عاماً وأكثر.

ولاشك أن الديون في شكلها الحالي، الذي تسيطر عليه وتتحكم فيه الإمبريالية، قد تمت إدارتها بمهارة لإعادة غزو أفريقيا حيث تهدف إلى إخضاع عمليات النمو والتنمية والمعرفة الأفريقية من خلال إجراءات تنظيمية أجنبية تماماً. وعليه فقد أضحى كل واحد منا بمثابة عبد مالي، وهو أسوأ أنواع الرق، لهؤلاء الذين كانت لديهم الفرصة والدهاء لإقراض الأموال لبلادنا مع الإلزام بإعادة دفعها.

يقولون لنا سددوا الديون. هذه ليست مسألة أخلاقية ، وهي ليست أيضا مسألة شرف مزعوم لسداده أو رفضه. سيدي الرئيس إننا كنا نستمع ونصفق لرئيسة وزراء النرويج عندما تحدثت هنا. إنها أوروبية ورغم ذلك قالت أن الدين كله لا يمكن سداده. إننا لا نستطيع دفع الديون لأننا لا نملك القدرة على ذلك. إننا لا نستطيع الدفع لأننا لسنا مسئولين عن هذه الديون. إننا لا نستطيع دفع الديون لأن الآخرين مدينين لنا بما هو أعظم ولا يمكن دفعه، إنه دين الدم. إنها دماؤنا التي سالت. لقد سمعنا عن خطة مارشال التي أعادت بناء اقتصاد أوروبا. ولكننا لم نسمع مطلقاً عن الخطة الأفريقية التي مكنت أوروبا من مواجهة الجحافل الهتلرية حينما كان استقرارها واقتصادها على المحك.

من أنقذ أوروبا؟ إنها أفريقيا.

نتحدث عنه قليلا جدا. نتحدث عنه قليلا حتى صرنا متواطئين في هذا الصمت الجاحد. إذا كان الآخرون لا يمكنهم ترديده، فنحن على الأقل يجب أن نقول إن أجدادنا كانوا شجعانا ومحاربينا القدامى أنقذوا أوروبا وسمحوا في نهاية المطاف للعالم بالتخلص من النازية.

لقد كانت الديون كذلك أحد نتائج المواجهة. عندما أخبرونا عن الأزمة

الاقتصادية، لم يقل لنا أحد أن هذه الأزمة جاءت فجأة، لقد كانت الأزمة موجودة دائماً ولكنها كانت تسير من سيئ إلى أسوأ لدرجة أن الجماهير العريضة أضحت أكثر وعياً بحقوقها في مواجهة المستغلين.

إننا في أزمة اليوم لأن الجماهير ترفض أن تتركز الثروة في أيدي حفنة من الأفراد. إننا في أزمة اليوم لأن بعض الأفراد يضعون أموالاً طائلاً في حساباتهم البنكية الأجنبية، وهذه الأموال يمكن أن تسهم في تنمية أفريقيا. هناك أزمة، لأنه في مواجهة هذه الثروة الفردية التي يمكن الكشف عن أسماء أصحابها، هناك جماهير ترفض العيش في معازل وأحياء فقيرة. هناك أزمة لأن الناس يرفضون أن يكونوا في سويتو في مواجهة جوهانسبرغ[1]. ثمة صراع إذن وتفاقم هذا الصراع يقلق أصحاب السلطة المالية.

لقد طلب منا اليوم السكوت بحثاً عن التوازن الذي يحقق مصالح هؤلاء الذين يمسكون بناصية القوة المالية والتي تلحق بدورها الضرر بالجماهير العريضة. لا! لا يمكننا التواطؤ أبداً. لا! لايمكننا الوقوف في صف هؤلاء الذين يسرقون عرق شعبنا ويستنزفون دماءه. لا نستطيع السير معهم في هذه الطرق القاتلة.

نادي أديس أبابا

سيدي الرئيس: نحن نسمع عن النوادي، نادي روما، نادي باريس ونادي في كل مكان. نحن نسمع عن مجموعة الخمسة، السبعة، مجموعة العشرة، وربما مجموعة المائة، من يدري ماذا أيضا؟ من الطبيعي أن نبني نادينا ومجموعتنا. من الطبيعي أيضاً أن يكون لدينا ناديا ولدينا مجموعة، فلندع أديس أبابا ومن الآن فصاعداً، تكون مركزاً تنبعث منه روح جديدة.

(١) إشارة إلى الاحتياجات الشعبية العنيفة التي شهدتها سويتو عام ١٩٧٦. وقد مثلت هذه الثورة نقطة تحول فاصلة في تاريخ النضال الشعبي ضد حكم الأقلية البيضاء في جنوب أفريقيا زمن التفرقة العنصرية. والمقابلة التي يطرحها سانكارا في خطابه بين «سويتو» كرمز لنضال الشعوب المقهورة والمظلومة وبين «جوهانسبرج» التي تمثل القلة الظالمة والمستغلة.

إنه نادي أديس أبابا، إنه واجبنا أن نجعل أديس أبابا جبهة موحدة في مواجهة الديون. إنها الطريقة الوحيدة للتأكيد على أن رفض دفع الديون لا يمثل خطوة عدائية من جانباً ولكنها طريقة أخوية للتحدث بصراحة.

أضف إلى ذلك فإن الجماهير الشعبية في أوروبا لا تعارض الجماهير الشعبية في أفريقيا. هؤلاء الذين يريدون استغلال أفريقيا هم ذاتهم الذين يستغلون أوروبا كذلك. إن عدونا واحد. وعليه إذا تأسس نادي أديس أبابا فإن عليه أن يشرح لكل فرد عدم إمكانية دفع الديون. إن قولنا عدم دفع الديون لا يعني أننا ضد الأخلاق أو الكرامة أو احترام الكلمة. نحن نعتقد أننا لا نملك نفس أخلاق الآخرين. ما بين الأغنياء والفقراء، ليس هناك نفس الأخلاق. إن الإنجيل والقرآن لا يمكنهما تلبية حاجات المستغلين والذين وقعوا ضحية الاستغلال بنفس الطريقة. ينبغي أن تكون هناك نسختين مختلفتين من الإنجيل ونسختين مختلفتين من القرآن.

ولا يمكن أن نقبل أن نتحدث عن جدارة أولئك الذين يؤدون الدين، وفقدان الثقة إزاء الذين لن يسددوا. بدلا من ذلك، يجب أن نقول أن كل هذا أمر طبيعي اليوم .وعلينا أن نفهم أن أعظم اللصوص هم الأكثر ثراء. عندما يسرق رجل فقير تكون زلة أو سرقة بسيطة، حيث أنها وليدة الحاجة ومن أجل البقاء. ولكن عندما يسرق رجل غني، يكون من خلال سلطته المالية، ومن ثم استغلال الآخرين.

سيدي الرئيس، إن المقترح الذي أقترحه ليس بهدف الإثارة أو الرياء. إنني فقط أريد أن أعبر عما يقوله ويتمناه كل واحد منا. من فينا هنا لا يتمنى إلغاء الديون؟ الشخص الذي لا يتمنى ذلك يستطيع الخروج وركوب طائرته والذهاب مباشرة إلى البنك الدولي من أجل دفع هذه الديون. هذا ما نتمناه.

إنني لا أريد أن يفكر الناس أن هذا الرأي يعبر فقط عن بوركينا فاسو أو أن هذا المقترح جاء من شاب أرعن قليل الخبرة. لا أريد كذلك أن يفكر الناس أن الثوار وحدهم هم الذين يتحدثون بهذه الطريقة. أود أن اعترف أنه أمر موضوعي والتزام.

أستطيع الإشارة على سبيل المثال إلى آخرين قالوا بعدم سداد الديون، منهم الثوريين، ومنهم غير ذلك، منهم كبار السن ومنهم الشباب على السواء. أستطيع ذكر فيدل كاسترو الذي نادى بعدم دفع الديون، إنه ليس في مثل عمرى، وإن كان ثورياً. أستطيع أن أذكر كذلك فرانسوا ميتران الذي قال بأن الدول الأفريقية لا تستطيع دفع الديون، وأن الدول الفقيرة لا تستطيع الدفع كذلك.

أود أن أذكر السيدة رئيسة وزراء النرويج، لا أعلم عمرها وليتني أمتلك شجاعة سؤالها عن ذلك... ولكنها مثال. أود أن أذكر الرئيس فيلكس هوفيه بوانيه، هو ليس في مثل عمري، ولكنه أعلن على الملأ رسمياً أن بلده ساحل العاج على الأقل لا تستطيع دفع الديون. مع العلم بأن ساحل العاج من بين أكثر الدول ثراء في أفريقيا الناطقة بالفرنسية. لذلك من الطبيعي أن يدفع أكثر في المساهمات هنا.

سيدي الرئيس، إنها بالتأكيد ليست إثارة، أود بحكمة وتبصر أن تقدموا لنا حلولا.. أود أن يتبنى المؤتمر بشكل حاسم وصريح القول بعدم دفع الديون. إنها ليست روح مولعة بالحرب ولكن لتجنب أن نغتال فرادى. **إذا وقفت بوركينا فاسو وحيدة ترفض دفع الديون فإنني لن أكون هنا في المؤتمر القادم.** ولكن مع دعم الجميع، وهذا ما أحتاجه، نستطيع تجنب دفع الديون. نستطيع أن نكرس مواردنا المحدودة، من خلال تجنب دفع الديون، لتحقيق التنمية. **أود أن أختم بقولي أنه في كل مرة تشترى فيها دولة أفريقية بندقية فإنها تكون موجهة ضد أفريقي. إنها ليست ضد أوروبي أو ضد آسيوي، إنها ضد أفريقي.**

وعليه نستطيع الاستفادة من قضية الديون لحل مسألة الأسلحة. أنا رجل عسكري وأحمل السلاح. ولكن سيدي الرئيس أود أن ننزع أسلحتنا. ولأني أحمل مسدساً فإني والآخرين نخفي أسلحتنا.

إخواني الأعزاء. نستطيع أن نصنع السلام في بلادنا بدعم الجميع. نستطيع أن نستفيد من هذه الإمكانات الهائلة في تنمية أفريقيا لأن لدينا تربة خصبة. لدينا قوة

عمل كافية وأسواق واسعة من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب. لدينا قدرات فكرية لإنشاء، أو على الأقل، استخدام العلوم التكنولوجية من أي مكان.

السيد الرئيس، دعنا نجعل أديس أبابا جبهة موحدة ضد الديون. دعنا نجعل من أديس أبابا التزامً بالحد من التسلح بين الدول الضعيفة والفقيرة. الهراوات والسكاكين التي نشتريها هي عديمة الفائدة. دعونا أيضا نجعل من السوق الأفريقية سوقا للأفارقة: ننتج في أفريقيا، نحول في أفريقيا، ونستهلك في أفريقيا. لننتج ما نحتاج إليه ونستهلك ما ننتجه بدلا من استيراده من الخارج. لقد جاءت بوركينافاسو إلى هنا لتظهر الأقمشة القطنية التي أنتجت في بوركينافاسو، وتم غزلها في بوركينافاسو، وتمت حياكتها في بوركينافاسو من أجل كسوة سكان بوركينافاسو.

إنني والوفد المرافق نلبس من أيدي نساجينا وفلاحينا. لا يوجد خيط واحد مستورد من أمريكا أو أوروبا. إنني لا أقوم بعرض أزياء، ولكني أود القول ببساطة **أن علينا أن نقبل العيش كأفارقة. إنها الطريقة الوحيدة للعيش بحرية وكرامة.**

شكراً سيدي الرئيس. الوطن أو الموت، سوف ننتصر.

الملحق رقم (٢)

لا يمكنك قتل الأفكار

تحية إلى تشي جيفارا[1]

لقد جئنا إلى هنا هذا الصباح بتواضع جم لكي نفتتح هذا المعرض التذكاري الذي يهدف لتخليد حياة وأعمال تشي. وإننا نود ،في نفس الوقت، أن نقول للعالم بأسره أن تشي جيفارا بالنسبة لنا حي لم يمت. فلا زالت هناك مراكز للنضال حول العالم حيث يكافح الناس من أجل مزيد من الحرية، مزيد من الكرامة ، مزيد من العدالة، ومزيد من السعادة. يناضل الناس في جميع أنحاء العالم ضد القهر والهيمنة، وضد الاستعمار والاستعمار الجديد والإمبريالية، وضد الاستغلال الطبقي.

أيها الأصدقاء، إننا نضم أصواتنا لجميع الناس في العالم الذين يتذكرون رجلا يدعى تشي جيفارا..قلبه مفعم بالإيمان،أخذ على عاتقه مهمة النضال مع رجال آخرين، وهو ما أدى إلى نجاحه في إطلاق الشرارة التي أرقت مضاجع قوى الاحتلال في العالم.

إننا نود القول بكل بساطة أن عهدا جديدا قد حل على بوركينا فاسو، واقعا جديدا يتحقق في بلدنا. هذا ما ينبغي أن نفهمه من دعوة تشي جيفارا للعمل، تشي الذي أراد أن يشعل شرارة النضال في جميع أنحاء العالم. لقد مزقت الرصاصات جسد تشي جيفارا، رصاصات الإمبريالية تحت سماء بوليفيا. ونحن نقول لأنفسنا: تشي جيفارا لم يمت.

(١) ألقى توماس سانكارا هذا الخطاب قبل أسبوع واحد من اغتياله في انقلاب عسكري. لقد كانت المناسبة هي تدشين معرض لتخليد ذكرى زعيم الثورة الكوبية أرنست تشي جيفارا والذي مر على وفاته في ذلك الوقت نحو عشرين عاما. (ترجمة المؤلف بتصرف).

أحد العبارات الجميلة التي يتذكرها الثوريون، الثوار الكوبيون العظام، أن أحد أصدقاء تشي،رفيقه في النضال، الذي كان بمثابة أخيه، فيدل كاسترو الذي يذكرها بنفسه. لقد سمعها في يوم من أيام النضال على لسان رجل من الناس استطاع،رغم انتمائه لضباط الباتيستا، وهو جزء من الجيش الرجعي والقمعي ، التواصل مع القوى التي تناضل من أجل رفاهية الشعب الكوبي. ففي أعقاب فشل الهجوم على حامية مونكادا ، وبينما كان المتهمون على شفا الموت بواسطة بنادق جيش باتستا – كانوا متأهبين لإطلاق الرصاص – وإذا بالضابط يقول لهم ببساطة: لا تطلقوا الرصاص، لا يمكنكم قتل الأفكار[1].

صحيح أنك لا تستطيع قتل الأفكار، فالأفكار لاتموت. وعليه فإن تشي جيفارا، الذي يجسد أفكار الثورة وقدم التضحية بالنفس ، لم يمت. لقد جئتم إلى هنا اليوم من كوبا لتكونوا مصدر إلهام لنا.

إن تشي جيفار، الأرجنتيني المولد، أصبح كوبيا بالدم والعرق الذي سال من أجل الشعب الكوبي. لقد أضحى ، أكثرمن ذلك، مواطنا في العالم الحر، العالم الحرالذي نبنيه معا. ولذلك نعتبر تشي جيفار أفريقي وبوركينابي.

لقد أطلق تشي جيفارا على الكاب الذي يضعه على رأسه اسم لابوينا (وهو الاسم الأسباني للبريه). لقد أصبح هذا الكاب والنجمة المرسومة عليه معروفا في كل أنحاء افريقيا، من الشمال إلى الجنوب يتذكر الأفارقة تشي جيفارا.

إن الشباب المتعطش للكرامة ، المتعطش للشجاعة ، متعطش كذلك للأفكار والقيم التي يجسدها تشي جيفارا في أفريقيا.ولكي ننهل من نفس المعين الذي

(١) في ٢٦ يوليو ١٩٥٣ شن مجموعة من الثوار بقيادة فيدل كاسترو هجوما على حامية مونكادا في ساتيجو دي كوبا وهي تقع في مدينة بيامو، وذلك بهدف إشعال شرارة الانتفاضة الشعبية ضد نظام باتيستا المدعوم من الولايات المتحدة. وبعد فشل الهجوم قامت قوات باتستا بإعدام نحو خمسين شخصا من الثوار الذين ألقي القبض عليهم. وبالرغم من فشل هذه العملية فإن واقعة مونكادا تعد علامة بارزة في طريق التحرر الثورى والذي كتب له الانتصار في يناير ١٩٥٩.

قدمه للعالم هذا القائد الثوري فإن بعض القلة الذين نالوا فرصة وشرف الحضور في معية تشي جيفارا، هم بيننا اليوم.

إن تشي بوركينابي.هو بوركينابي لأنه شارك في نضالنا. هو بوركينابي لأن أفكاره كانت هاديا وملهما لنا كما اتضح في خطاب التوجيه السياسي. هو بوركينابي لأن نجمته طبعت على ساريتنا. هو بوركينابي لأن أفكاره حية في نفوس كل واحد منا أثناء نضاله اليومي.

تشي رجل يعرف كيف يعلمنا الثقة بالنفس وبقدراتنا، ولذلك هو باق بيننا. من هو تشي؟ أود أن أتساءل . إن تشي يمثل كل القناعات، القناعة الثورية، الإيمان الثوري بما تفعل، الإيمان بأن النصر حليفنا،وأن النضال هو ملاذنا. تشي كذلك شعور إنساني. الإنسانية التي تعبر عن الكرم والتضحية بالنفس والتي جعلت تشي ليس فقط أرجنتينيا أو كوبيا أو مناضلا عالميا ولكن أيضا رجلا بكل ما يحمله ذلك من مشاعر الدفء.

لقد كان تشي بالإضافة إلى ذلك مجتهدا رغم انتمائه لأسرة موسرة، فقد استطاع مقاومة رغباته وأن يدير ظهره للطريق الأسهل، ويكرس حياته بالمقابل باعتباره رجل الشعب، الرجل الذي يجعل قضيته المشتركة مع الشعب، الرجل الذي يجعل قضيته المشتركة مع معاناة الآخرين. هذه الشخصية المكافحة تمثل مصدر إلهام لنا جميعا.

الإيمان والإنسانية والاجتهاد تمثل جميعها تشي. هؤلاء الذين يستطيعون استجماع كل هذه الفضائل في أنفسهم ،هؤلاء الذين يستطيعون استجماع كل هذه الصفات في أنفسهم، الإيمان والإنسانية والاجتهاد يستطيعون القول بأنهم مثل تشي.، رجال بين الرجال، ولكنهم فوق ذلك ثوار بين الثوار.

لقد شاهدنا هذه الصور التي تلقي الضوء على جزء فقط من حياة تشي ، وهذا أفضل ما بوسعهم. وعلى الرغم من تعبيراتها القوية فإن هذه اللوحات تظل صامتة عن الحديث عن الجانب الأكثر أهمية في حياة الرجل ، وهو الجانب الذي

استهدفته الإمبريالية. لقد استهدفت رصاصات القتل روح تشي أكثر من استهدافها لصورته الجسدية. صورته موجودة في كل العالم ، وملامحه تملأ علينا وجداننا ، و تعد صورته المظللة من أفضل ما رأينا. وعليه دعونا نتعرف بصورة أفضل على تشي.

دعونا نقترب أكثر من تشي. نرسم صورة قريبة له ، ليس كإله أو فكرة علوية فوق الإنسان، ولكن بإحساس أننا نقترب من أخ يتحدث إلينا ونتحدث إليه. علينا أن نظهر له كيف أن الثوار الذين استلهموا روح تشي أصبحوا أمميون كذلك، وقد استطاعوا مع الآخرين تعلم فضيلة الإيمان، الإيمان بالنضال من أجل التغيير ، النضال ضد الإمبريالية وضد الرأسمالية.

كما تعلم أيها الرفيق كاميللو جيفارا[1]، إننا لا نستطيع التحدث إليك باعتبارك ابنا يتيما. إن تشي ينتمي لنا جميعا.. إنه ينتمي إلينا كموروث ثوري. وعليه لا يمكنك الشعور بالوحدة أو العزلة ، سوف تجد في كل منا، على ما آمل،إخوة وأخوات وأصدقاء ورفاق. إنك معنا اليوم مواطن بوركينابي لأنك تسير على نفس خطى تشي، تشي الذي ينتمي لنا جميعا ، والدنا جميعا.

أخيرا، دعوني أتذكر تشي باعتباره تجسيدا للرومنطيقية الأبدية، شاب يقظ وقاد، ومع ذلك يمتلك حكمة وبعد بصيرة وإخلاص لا توجد إلا عند الرجال الأشداء ذوي القلوب الرحيمة.. لقد كان تشي شابا في السابعة عشرة من عمره، ولكنه كان يمتلك حكمة رجل في السابعة والسبعين من عمره. هذه الحكمة المركبة هي ما نسعى إليه في جميع الأوقات. لقد امتلك تشي قلبا إنسانيا إذا تحدث، ويدا قوية حاسمة إذا عمل.

أيها الرفاق ، أود أن أوجه الشكر للأصدقاء من كوبا على كافة الجهود التي بذلوها لكي يكونوا بيننا اليوم. أود أن اشكر هؤلاء الذين تكبدوا عناء سفر آلاف الكيلومترات وعبروا المحيطات ليأتوا هنا إلى بوركينا فاسو لإحياء ذكرى تشي.

(١) هو ابن تشي جيفارا كان من بين الحضور.

أود أن أشكر كل فرد أسهم في جعل هذا اليوم ، ليس مجرد تاريخ عابر في التقويم وإنما أياما عبر السنين والقرون لجعل روح تشي خالدة لا تموت.

أيها الرفاق أود أن أعبر عن فرحتي لأننا استطعنا هنا في واغادوغو تخليد أفكار تشي جيفارا بإطلاق اسمه على أحد الشوارع. كل مرة نحاول أن نتذكر فيها تشي، علينا أن نكون مثله ونجعل هذا الرجل المناضل يعيش مرة أخرى، ولاسيما كل مرة نفكر في روح التضحية التي يمثلها، من خلال رفض السلع المادية التي تؤدى إلى شعورنا بالاغتراب،ومن خلال رفض الطريق الأيسر، والتحول بدلا عن ذلك إلى التعليم والنظام الصارم الذي تفرضه الأخلاق الثورية. كل مرة نحاول العمل فيها بهذه الطريقة سوف نحقق أفكار تشي بشكل أفضل ونساعد على نشرها بطريقة فعالة.

الوطن أو الموت ، سوف ننتصر.

الملحق رقم (٣)

واقع المرأة في بوركينا فاسو[١]

يقول سانكارا: «بينما ينظر المجتمع إلى ولادة الطفل الذكر باعتباره «هدية من السماء» فإن ولادة الأنثى تعد قدراً محتوماً، أو على أفضل الأحوال هدية يمكن استخدامها لإنتاج الطعام واستمرار الجنس البشري». ولعل سانكارا هنا يعالج وضعية المرأة في سياق مقارن حيث عانت في ظل الثقافات الذكورية عموماً من الإذلال والتهميش، ألم يصف القرآن الكريم حالة استقبال المولود حسب نوعه عند العرب بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [النحل].

كان الصبي الصغير يتعلم كيف يعبر عن رغباته وكيف يجعل من حوله في خدمته، وكيف يقرر لنفسه. أما الطفلة الصغيرة فإنها تعامل بصورة دونية من قبل المجتمع وكأنه يعبرعن قلب رجل واحد. على هذه الطفلة المسكينة وهي في عمر الثالثة أن تعرف حقيقة دورها في الحياة: أن تكون خادمة ومفيدة. أما الأخ الذكر فإنه يستمتع بطفولته، يظل وهو في سن الرابعة أو الخامسة أو السادسة يلعب ويلهو حتى يمل ويتعب. ويطرح سانكارا حواراً واقعياً حول طبيعة الظلم المجتمعي للمرأة في بلاده وذلك بقوله: «إن هذه الطفلة، بعد احتفالية صغيرة، تدخل عالم الانتاج. إنها تملك أصلاً وظيفة، فهي مساعدة ربة بيت. إنها بالقطع وظيفة لا تتقاضى عنها أجر. ألم نقل أن ربة البيت لا تمارس عملاً؟ ألم نكتب في بطاقات الهوية أمام خانة الوظيفة: ربة بيت للإشارة إلى أنها من غير دخل، وهو ما

(١) قراءة في كتاب سانكارا :تحرير المرأة والنضال الأفريقي من أجل الحرية.
Thomas Sankara, Women's Liberation and the African Freedom Struggle, New York: Pathfinder,2007>

يعني أنها بلا عمل؟! وهكذا جعل المجتمع النسائي بلا عمل. في ظل هذه التقاليد الظالمة والانقياد الأعمى تربت أخواتنا في حالة من التبعية والاستغلال والهيمنة، ودون أي استمتاع بأوقاتهن. وبينما يكون طريق الفتى الصغير مليئاً بالفرص الواعدة التي تمكنه من تحمل مسئولية حياته فإن حياة الطفلة الصغيرة تواجهها العديد من القيود التي تلتف حول عنقها. إنها تدفع ثمناً باهظاً لأنها ولدت أنثى. إنها تتحمل تبعة ذلك من كد وعناء طيلة حياتها وحتى الممات. إنها مجرد آلة للإنتاج بجانب أمها التي تعد، من الآن فصاعداً، رئيساً لها أكثر من كونها أماً. لن تترك أبداً عاطلة أو وحيدة تخلو إلى ألعابها»[1].

يرى سانكارا أنه على الرغم من اختلاف طبيعة المجتمعات في بلاده من حيث الريف والحضر، أو من حيث توزيع السلطة فيها فإن التنظيم الاجتماعي لديها يتسم بسمة عامة مشتركة ألا وهي خضوع المرأة وهيمنة الرجل عليها. يرجع ذلك إلى كون المجتمع زراعياً متخلفاً تسوده قيم الذكورية ويتقبل عادة تعدد الزوجات. فالمرأة هنا تتحول إلى موضوع للاستغلال من جهتين، الأولى قوة العمل التي تمتلكها، والثانية قدرتها البيولوجية في إعادة الإنتاج.

«في ظل هذا الوضع من جدلية الخضوع والهيمنة تمكنت المرأة من العيش بهوية مزدوجة تجعلها الرابط الأساسي الذي يحافظ على وحدة الأسرة من جهة ويكرس وضعية الخضوع والتهميش من جهة أخرى. ولاشك أن في ذلك تضحية كبرى من جانب المرأة. إنها مصدر الحياة ولكنها تعامل كآلة، وهي أم، ولكنها لا تزال خانعة مستسلمة لقدرها، وهي مربية ولكن ينظر إليها كغنيمة يجب الفوز بها. هذه الرؤية تكرس من وضعية استغلال المرأة في البيت وخارجه، وهي في نفس الوقت أشبه بالجندي المجهول الذي لا صوت له»[2].

ويرى سانكارا أنه بالرغم من نشوة وحماسة الاستقلال فقد تركت المرأة وحيدة

(١) المرجع السابق، ص ٣٦-٣٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٨.

حيث استبعدت من الحوارات العامة ومن دوائر صنع القرار، وظلت على حالها تحت رحمة كل من الأسرة والمجتمع. لقد اتحدت مصالح رأس المال والبيروقراطية الحاكمة على بقاء المرأة خاضعة. أما الامبريالية فإنها تكفلت بالباقي من أجل استمرار المجتمع الذكوري. وبينما تمثل المرأة نصف المجتمع تماماً مثل الرجل فقد بلغت نسبة الأمية بين النساء نحو ٩٩٪، كما تلقت المرأة تدريباً محدوداً في التجارة وعانت من التمييز في العمل حيث أسندت إليها دائماً أسوأ الوظائف. يقول سانكارا:

«تحتاج الرأسمالية إلى القطن والمكسرات والسمسم لاستمرار صناعتها. وقد كانت النساء،أمهاتنا، بالإضافة إلى المهام الكبرى الملقاة على عاتقهن، هن اللائي تحملن عبء هذه المسئولية بأنفسهن حيث قمن بجمع هذه المحاصيل وقت الحصاد. أما في المدن حيث يفترض أن تكون المدنية قوة تحرير للمرأة. فقد وجدت المرأة نفسها تعمل خادمة في بيوت البرجوازية أو تبيع جسدها من أجل العيش أو تصبح مجرد أداة ترويج في الإعلانات التجارية»[١].

الثورة وقضية تحرير المرأة

يرى سانكارا أن ثورة أغسطس أولت قضية تحرير المرأة أولوية خاصة، فمنذ الساعات الأولى للثورة الشعبية والديمقراطية أعلنا أن: «**الانعتاق ،مثل الحرية، لا يمنح ولكنه يؤخذ غلاباً**. ويتعين على المرأة نفسها أن تصيغ مطالبها ونقوم بالحشد اللازم من أجل تحقيقها»[٢]. وطبقاً لخطاب التوجه السياسي الأشهر فإن الثورة البوركينابية لم تحدد فقط الهدف الذي ينبغي تحقيقه ولكنها حددت كذلك الطريق والأدوات، بل وحتى الأنصار الذين يمكن الاستعانة بهم في هذه المعركة. ويعرض سانكارا انجازات الثورة في مجال تحرير المرأة وكذلك نقاط الضغف التي واجهتها:

(١) المرجع السابق، ص ٤٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٤.

- أول الإنجازات: هو تأسيس «اتحاد بوركينا النسائي»؛ والذي يعد الإطار والوسيلة من أجل تمكين المرأة في المجتمع ومساعدتها في النضال من أجل التحرر والانعتاق. ومن جهة أخرى فإن هذا الاتحاد يمثل فرصة مناسبة لتوحيد كافة الناشطات في مجال تحرير المرأة تحت مظلة محددة الأهداف ومسترشدة بمبادئ المجلس الوطني للثورة. يقول سانكارا: «إن اتحاد بوركينا النسائي هو منظمة نسائية تضم كافة الناشطات اللائي يعملن من أجل التغيير ويخضن المعارك من أجل النصر، إن زلت أقدامهن مرة سرعان ما ينهضن ويتقدمن إلى الأمام دون تراجع. هذا هو الوعي الجدي الذي تظهره نساء بوركينا، وعلينا جميعاً أن نفخر به..»[1].

- المبادرات الحكومية في مجال تحرير المرأة، رغم عدم كفايتها، فإنها استطاعت أن تضع بوركينافاسو في طليعة المعركة من أجل تحرير المرأة. فالمرأة أضحت تشارك بشكل ملحوظ في صنع القرار وتمارس دورها العام من خلال المشاركة في السلطة الشعبية. لم يكن غريباً أن توجد المرأة وسط حملات التطعيم العامة وإعادة التشجير والمدينة النظيفة وغيرها من مشروعات بناء بوركينافاسو الجديدة.

حاولت الثورة جهد الطاقة التخلص من النظرة الذكورية الشوفونية السائدة في المجتمع. لقد عملت الحكومة بزعامة سانكارا على التخلص من بعض العادات والممارسات التي من شأنها الحط من قدر المرأة مثل الدعارة والتسول وجنوح الأطفال والزواج القهري وختان الفتيات،والأهم من ذلك كله صعوبة الأحوال المعيشية التي تواجهه المرأة.

- قامت حكومة سانكارا بالعمل من أجل حل مشكلة المياه وتوفيرها في كل مكان بالإضافة إلى إقامة الطواحين في القرى وإنشاء دور الرعاية الشعبية والقيام بحملات تطعيم عامة بشكل منتظم وضمان حصول المواطنين على وجبات غذائية صحية ومنوعة. ومن خلال ذلك كله تم تحسين الأحوال المعيشية للمرأة البوركينابية.

(١) المرجع السابق، ص ٤٥.

وعلى الرغم من الإنجازات السابقة فقد تحدت سانكارا عن المشكلات والعقبات التي تعترض طريق تحرير المرأة في بلاده. ولعل من أبرز هذه العقبات ارتفاع معدلات الأمية وانخفاض مستوى الوعي السياسي، وهي الأوضاع التي تم تمريرها بفعل التأثيرات القوية التي مارستها القوى الرجعية في لمجتمعات المتخلفة مثل بووكينافاسو. ويرى سانكارا أن اتحاد بوركينا النسائي يمكن أن يمارس دوراً طليعاً في النضال من أجل التخلص من هاتين العقبتين. وينبه سانكارا إلى أهمية الوعي بالذات في نضال المرأة من أجل التحرر يقول في ذلك:

«ينبغي على نسائنا عدم التراجع عن النضالات المتعددة التي تقود المرأة إلى تحمل المسئولية نفسها بشكل كامل، وهو ما يجعلها تكتشف أن السعادة تعني الإحساس بالذات وليس مجرد كونها أنثى مطيعة للرجل. اليوم، كثير من نسائنا يسعين إلى طلب الحماية من الرجل باعتبارها الطريق الآمن الذي يبعدها عن قهر ما يقوله الناس. إنهن يتزوجن دون حب أو فرح، ولكن فقط لتلبية رغبات رجل فظ غليظ القلب بعيد كل البعد عن أرض الواقع وعن طريق النضال الشعبي. وفي كثير من الأحيان تطالب النساء، بقدر من الغرور، باستقلالهن، في نفس الوقت الذي يسعين فيه إلى طلب الحماية، وربما الأسوأ هو وضع أنفسهن تحت الحماية الاستعمارية للرجل، إنهن لا يستطعن تصور حياتهن بشكل آخر»[1].

- أحد العقبات الآخرى التي تعترض طريق تحرير المرأة وأشار إليها سانكارا يتمثل في التصورات السلبية لبعض الرجال والتي تكرس من مفاهيم النظام الإقطاعي الرجعي. مثل هؤلاء الرجال، من وجهة نظر سانكارا، لا يلوون إلا على المحافظة على الوضع القائم من خلال الدفاع عن بنية القمع والاستغلال للمرأة سواء في البيت أو خارجه. ولاشك أنه في ظل معركة بناء المجتمع الجديد الذي دعا إليه سانكارا فإن مثل هؤلاء الرجال يضعون أنفسهم في صف القوى الرجعية والمعادية للثورة. عندئذ يخلص سانكارا إلى نتيجة حتمية عاش لها ومن أجلها،

(١) المرجع السابق، ص ٤٨-٤٩.

وهي أنه لا يمكن انتصار الثورة دون تحرير كامل للمرأة.

جدلية التنظيم والتحرير

لقد وضع سانكارا خطوطاً عريضة من أجل تنظيم الجهود لتحقيق هدف تحرير المرأة وذلك على النحو التالي:

-**أولاً**: على المستوى الحكومي يتم الاستفادة من توجهات المجلس الوطني للثورة في وضع خطة متجانسة لصالح المرأة والعمل من أجل تنفيذها. يعني ذلك أن كل الوزارات والدوائر الحكومية تشارك في تنفيذ هذه الخطة بشكل محدد وطبقاً لمسئوليات قصيرة ومتوسطة المدى. ويؤكد سانكارا على أهمية الطابع الشعبي لهذه الخطة حيث أنها سوف تعبر عن الضمير العام للمجتمع من خلال الحوارات الشعبية والديمقراطية والتي تحاول الإجابة على تساؤل رئيسي مفاده ماذا يريد المجتمع من النساء؟.

-**ثانياً**: يربط سانكارا بين هذا الاقتراب متعدد الأبعاد لتحرير المرأة وبين الهدف الكلي العام للثورة. وهو بناء مجتمع جديد خال من كافة مظاهر الاستغلال والهيمنة، وعليه فإن قضية تحرير المرأة تقع في القلب من مسألة النضال الثوري. وقد أكد سانكارا على أن عملية تقويم الأداء الحكومي لكافة الوزارات والدوائر الحكومية سوف تأخذ بعين الاعتبار مدى النجاح في تنفيذ خطة تحرير المرأة.

-**ثالثاً**: دور مرافق التعليم والثقافة في إتاحة الفرصة أمام المرأة من أجل التعليم والتخلص من مفاهيم التعليم الذكوري. ولعل ذلك يستوجب عقلاً جديداً وفكراً منفتحاً في العلاقات الاجتماعية، بالتنسيق الكامل مع اتحاد بوركينا فاسو النسائي. ولعل هذه المسيرة في معركة النضال من أجل المرأة تستلزم ضرورة تغيير الإطار القانوني السائد والذي يكرس من وضعية عدم المساواة بين الرجل والمرأة. وعليه فقد رأى سانكارا ضرورة وضع قانون جديد للعمل بما يضمن تحطيم الأساس الاستعماري الجديد لجهاز الدولة الذي يعكس مصالح القوى الرجعية والمعادية للثورة.

وقد وضع سانكارا أهمية كبرى على ضرورة تغيير الصور الذهنية الموروثة وكذلك أهمية تغيير السياق الاجتماعي السائد والذي يكرس من هيمنة الرجل وخضوع المرأة. يقول في ذلك:

« إن عملية تغيير العقول سوف لا يكتب لها الكمال إذا قبلت المرأة الجديدة العيش مع رجل من الطراز القديم. هل يمكن أن نجد مكاناً يكون فيه هذا التفوق الذكوري المقيت حاسماً وواضحاً أكثر من البيت الذي تقوم فيه الأم، التي يتملكها إحساس بالدونية، بتعليم قواعد عدم المساواة بين الجنسين؟ المرأة هي المسئولة عن إدامة العقد الجنسية منذ بداية تعليم الطفل وتشكيل ثقافته. أضف إلى ذلك، ما الجدوى الذي يمكن أن نجنيها من وراء جهود دفع شخص ما للمشاركة في النشاط السياسي نهاراً بينما يجد نفسه ليلاً بين يدي امرأة رجعية لا تؤمن بأهمية العمل التعبوي»[1].

يتضح لنا من خلال قراءة نصوص الخطاب السياسي لتوماس سانكارا بخصوص قضية تحرير المرأة ولاسيما تلك الواردة في خطبه وأحاديثه؛ أنه كان على وعي كبير بمكانة المرأة في الطليعة الثورية. لقد شرح سانكارا من خلال خبرته الثورية وإلمامه بأدوات التحليل الماركسي الجذور التاريخية لقهر وإذلال المرأة، وأهمية النضال الثوري للتخلص من بنية القهر تلك في المجتمع. أضف إلى ذلك فإنه أعطى اهتماماً خاصاً لقضية تحرير المرأة في أفريقيا بشكل عام. ويمثل خطاب سانكارا في اليوم العالمي للمرأة عام ١٩٨٧ علامة بارزة في مسيرة النضال من أجل تحرير المرأة. ولا تزال القضايا التي طرحها هذا الخطاب في موقع القلب بالنسبة لنضال المرأة من أجل الانعتاق في بلدان أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، بل وبالنسبة لجميع الرجال والنساء الذين يناضلون من أجل التحرير الكامل للمرأة في جميع أنحاء العالم.

(١) المرجع السابق، ص ص ٥٤-٥٥.

ملحق (٤)

من قتل توماس سانكارا؟

لقد أثيرت كثير من التكهنات والمزاعم حول حادثة اغتيال توماس سانكارا عام ١٩٨٧. وعلى الرغم من تعدد الروايات بشأن مقتله وتورط أطراف إقليمية ودوليه في ذلك فإن الفيلم الوثائقي الذي بثته القناة العامة الإيطالية RAI3. بعنوان «الظلال الأفريقية» يُلقي مزيدا من التفاصيل على عملية الاغتيال. يؤكد الإعلامي الإيطالي سيلفسترو مونتانارو تفاصيل الصلات المزعومة بين كل من المخابرات الأمريكية والفرنسية وقتلة سنكارا ودور الرئيس المعزول بليز كومباوري. ويضم هذا الفيلم الوثائقي شهادات لشخصيات ليبيرية معروفة وبارزة مثل السيناتور جويل هوارد تايلور،الزوجة السابقة للرئيس تشارلز تايلور،الذي أدين من قبل المحكمة الخاصة بسيراليون بارتكاب جرائم ضد الإنسانية. وفيما يلي نص الحوار الذي تضمنه الفيلم الوثائقي الايطالي كما نقله موقع بمبازوكا[١]:

سيلفسترو: هل تعتقدي أن هناك من يؤرقه قول تايلور«الحقيقة»؟،الشخصيات البارزة .

السيدة :نعم، بالتأكيد. أنا متأكدة من ذلك...

سيلفسترو: الأشخاص المهمين جدا؟

السيدة : بالتأكيد. هناك جزء من هذه القصة ظل خافيا وغير معلوم، حتى بالنسبة لي. وأنا على يقين أنه لا يزال يحمل العديد من الأسرار. كيف تمكن تايلور

(١) Italian revelations on the assassination of Silvestro Montanaro, Thomas Sankara, Pambazuka, 2009-09-03, Issue 446 . http://pambazuka.org/en/category/features/58463.(ترجمة المؤلف)

من مغادرة الولايات المتحدة؟. ما هي الصفقة التي أبرمها مع القذافي من أجل التدريب في ليبيا؟. من هم أصدقاؤه، وما هي المعلومات التي قدموها إليه؟.

مومو: كان لديه الكثير من الأصدقاء في الولايات المتحدة...

سيلفسترو: أشخاص مهمون؟

مومو: نعم، بالتأكيد، رجال أعمال.

سيلفسترو: هل يمكن أن تعطيني أي أسماء؟

مومو: آه، لا. لا أستطيع الكشف عن أسمائهم. أنا لست أحمق ... كان لديه أصدقاء في الدوائر الدبلوماسية، اختفوا تماما كأن الأرض ابتلعتهم، ولكني أعرف من هم، وأنهم لن يكونوا سعداء إذا تحدثت عنهم. إن تايلور لم يهبط من السماء ببساطة. فجأة من السجن إلى ليبيريا. هم الذين أرسلوه إلى ليبيريا، وأنهم يدركون جيدا هذه الحقيقة!

المعلق: يعتبر هذا الرجل، أيضا مجرم حرب من قبل الأمم المتحدة، فقد كان مساعد تايلور كقائد ميداني. إنه، الجنرال مومو جيبا – أحد أولئك الذين يعرفون القصة الحقيقية – والذي يعطينا لمحة عن ما كان يجري في عهد تشارلز تايلور.

سيلفسترو: من الذي أرسله إلى هنا؟.

مومو :الذين أرسلوه يعرفون أنفسهم. قدموا له كل العون. إنهم يعرفون كل شيء. إنه لم يأت إلى هنا وحيدا. لقد كان تايلور سجينا في الولايات المتحدة ... وفجأة، وجدناه في مونروفيا. كيف استطاع الخروج من سجن أمريكي؟ كيف تمكن من الهروب؟.

سيلفسترو: وكالة المخابرات المركزية؟.

مومو :أي هيه ... لا أستطيع أن اقول ذلك ... إنها شخصية كبيرة.

مؤرخ: ما حدث في الولايات المتحدة مع تشارلز تايلور يعبر عن قصة رائعة.

المعلق: الوزير الليبيري ماركوس دهن، هو أيضا أحد المؤرخين البارزين في البلاد يعتقد بوجود طرف ثالث وراء هروب تايلور.

المؤرخ: لقد فر تايلورهاربا من ليبيريا بعد أن اتهمه الرئيس صمويل دو بسرقة ملايين الدولارات من خزينة الدولة. ألقي القبض عليه وكان من المقرر تسليمه إلى ليبيريا. ومن الجدير بالذكر أن محامي تايلور، رمزي كلارك، كان يُعد واحدا من أفضل المحامين في الولايات المتحدة، حيث شغل منصب المدعي العام في ظل إدارة جيمي كارتر. لقد كان تايلور نزيلا في سجن اتحادي حصين في ولاية ماساتشوستس. لقد كان الهروب صعبا ولاسيما من سجن اتحادي...

تمكن تايلورمن الهرب، وجاء إلى هنا لتدشين ثورة من أجل الإطاحة بصامويل دو.

موس بيليه : من المستحيل الهروب من هذا السجن دون مساعدة شخص ما. لم يكن تايلور طائرا صغيرا يطير بجناحين. ولم يكن إلها، أو روحا خفية.

المعلق: كان موس بيليه نائب الرئيس تايلور، وأحد كبار مساعديه. وعندما هرب تايلور، أصبح بيليه رئيسا انتقاليا لبضعة أشهر.

بيليه :كثير من الناس، بما في ذلك بعض المسئولين الذين يشغلون حاليا مناصب مهمة في الحكومة، قدموا لنا يد العون. حتى الرئيسة الحالي لدينا اعترفت بأنها ساعدت تايلور، و أعطته مساعدة مالية في ذلك الوقت.

سيلفسترو: ولكن كان معظم من ساعده من الأميركيين...

بيليه :بالتأكيد ... نعم...

سيلفسترو: إلى أي حد؟.

بيليه : كيف أستطيع أن أشرح لكم هذا ... لدينا عراب قام بمساعدتنا، نظرا لأن البعض منا يعتبر ليبيريا مقاطعة أمريكية. لقد وافقت الولايات المتحدة على أن يصبح تايلور رئيسا.

ألين : يجب أن نفهم أن قادة الجبهة الوطنية القومية لليبيريا اختاروا تايلور زعيما. وقد ضمت قيادة الجبهة الوطنية القومية شخصيات أخرى أمثال السيدة إلين سيرليف، الرئيسة الحالية.

المعلق: كان سيريل ألين قياديا بارزا في حزب تايلور،كما شغل منصب الرئيس لشركة البترول الوطنية ، وهو ضمن القائمة السوداء للأمم المتحدة .

ألين: كانوا يطلبون المساعدة في إسقاط صامويل دو. لذلك سأل الأميركيين عن الشخص الذي وقع عليه الاختيار لقيادة الثورة. كانت الاجابة فورية وقاطعة. لدينا شخص بينه وبين صامويل دو عداء شديد. هذا الرجل لديه عقل عسكري رائع، إنه ذكي وشجاع ...ولكن للأسف، هو نزيل أحد سجونكم. وعليه نطلب منكم السماح له بالذهاب حتى يتمكن من قيادة الثورة. تمت الاستجابة لهذا المطلب، وهكذا أصبح تايلور حرا طليقا.....

سيلفسترو: وهل تم الاتفاق؟

ألين : بطبيعة الحال، لقد ساعدوا تايلور على الهرب.

الوزير دو: أنت بحاجة لمعرفة ما حدث من وزارة الخارجية، ومن أعلى المستويات في وكالة المخابرات المركزية ومكتب التحقيقات الفيدرالي، والمؤسسة السياسية ...إنهم يعرفون ما حدث بالضبط. اسمع، أنا لا أريد أن أجد نفسي نزيلا في أحد السجون الأميركية. من المستحيل عمليا الهروب. ومع ذلك تمكن تايلور بشكل لا يصدق من الفرار. من هو محامي تايلور؟ إنه رمزي كلارك، المدعي العام السابق في الولايات المتحدة ، والذي يعد واحدا من أكثر الرجال نفوذا في العالم. هرب تايلور من السجن في بوسطن ، ثم فجأة وجدنا تايلور في أفريقيا. عندما حضر تايلور إلى هنا، كان لديه حقائب مملوءة بالمال. ونحن نتحرى أصول مبلغ ٢٥ ألف دولار؟. كنت أمتلك كل هذه المعلومات على جهاز الكمبيوتر الخاص بي، ولكن قام مجهولون بتدمير كافة الملفات الموجودة عليه. لكن لحسن الحظ، وجدت نسخة مع أحد الأصدقاء. لقد كانت أحد التوقيعات على الوثيقة من السيدة إلين سيرليف ، والتوقيع الآخر لشخص أمريكي.

سيلفسترو: أين تلقيتم التدريب والإعداد؟؟

مومو : تم التدريب ...

سيلفسترو مقاطعا : أرجو أن تكون صادقا.

مومو :نعم ... في ليبيا.

سيلفسترو : من قام بتدريبك؟

مومو :انه، سؤال جيد...

سيلفسترو: من هم المدربون؟ ومن أين أتوا؟ من أي بلد؟ أرجو أن تكون صادقا.

مومو :أنا لا يمكنني البوح عن أسمائهم أمام الكاميرا، إنه أمر سري للغاية. لكنهم كانوا بالتأكيد مدربين.

سيلفسترو: من قام بتزويدكم بالأسلحة؟

مومو :للقتال؟

سيلفسترو: نعم.

مومو: إنهم.

سيلفسترو: نفس الأشخاص؟

مومو :لا، لا، لقد كانت ثورة، وفرنا الأسلحة لأنفسنا. وقدم كل واحد منا أي شيء يقدرعليه. كما استخدم الرئيس تايلور مصادره الخاصة.

المعلق: في هذه المرحلة، أطلب من طاقم التصوير المغادرة والعودة مع كاميرا التلفزيون المخفية.

سيلفسترو: من الذي قام بالتدريب؟

مومو :إنهم ... حسنا، لا أستطيع أن أقول لك ... بالإضافة إلى أنهم يعرفون أنفسهم بالفعل...

سيلفسترو: وكالة المخابرات المركزية؟

مومو :نعم، وكالة الاستخبارات المركزية قامت بتدريبي.

سيلفسترو: وماذا عن القذافي ... ليبيا.

مومو :لا تذهب بعيدا، إنها السياسة...

سيلفسترو:إنه أمر لا يصدق.

مومو :دعونا لا نخوض في ذلك، وهذه هي السياسة.

سيلفسترو: وأعطوا لك المال...

مومو :المال، وكل شيء.

سيلفسترو: الأسلحة؟

مومو : كل شيء، كل شيء.

سيلفسترو: وكالة المخابرات المركزية.

مومو :لا تذهب بعيدا ...إنها السياسة.

سيلفسترو: يا إلهي.

مومو: أنت تعرف، أنها خطرة ... الآن يريدون منك الصمت ... إنهم يُقدرون عدم الخوض في هذا الأمر. إذا كشفنا عن هذه الأسرار، فإنه سيكون من الخطورة بمكان عليهم ...

سيلفسترو: كيف ساعدت السي أي إيه تايلور على الهروب من السجن؟

السيدة :أنا واثقة من أنهم لم يشاركوا.

سيلفسترو: ولكن بعد ذلك، قال إنه كان في ليبيا للتخطيط من أجل الحرب ضد دو. كانت ليبيا عدوا للولايات المتحدة.

السيدة: أعتقد أن تايلور لم يكن سوى أحد أدوات هذه اللعبة. لقد كانت الولايات المتحدة ضد ليبيا، ولكنها في نفس الوقت كانت حريصة على إسقاط صامويل دو. ولهذا السبب كانت في حاجة إلى حليف، والسماح لتايلور بالذهاب إلى ليبيا للتدريب لمحاربة هؤلاء الناس. ولم يخف تايلور ذلك أبدا حتى قبل

وصوله للسلطة، قال إنه كان على اتصال دائم مع الولايات المتحدة. وكان جزءا من مخطط للإطاحة بالرئيس دو. إنها ، أي الولايات المتحدة، بحاجة إلى التعرف على أولويات تايلور: المسألة الليبيرية، وتوجهاته بخصوص العلاقة مع الولايات المتحدة، والموارد الطبيعية ، وخاصة النفط، والتي يمكن أن تستفيد منها الولايات المتحدة. كانت ليبيريا هدفا استراتيجيا، ولهذا السبب، كانت أكثر أهمية من المسألة الليبية.

المعلق: كما يقول الجنرال مومو، كان تايلور في هذه المرحلة عميلا لوكالة المخابرات المركزية، ويتجسس على القذافي ويخترق حركات التحرر الأفريقية التي تتلقى التدريب في ليبيا.

مومو :كانت عملية لصالح السي أي إيه.

سيلفسترو: وحقيقة الأمر هي أن تايلور كان يعمل لوكالة المخابرات المركزية، حيث جندته صراحة لاختراق حركات التحرر الأفريقية التي يتم تدريبها في ليبيا.

مومو :تلك هي الحقائق.

سيلفسترو: هل أنت متأكد من ذلك؟

مومو : بالتأكيد. كنت أعمل معه، وتحدثنا حول هذه القضايا. أنا لست أكذب في العادة .

سيلفسترو: وكيف توجه تايلور للتجسس على القذافي لصالح وكالة المخابرات المركزية؟

مومو :أولا ... أحد الميادين الرئيسية كانت بوركينا فاسو.

سيلفسترو: مسارالهروب الغامض لتايلور يرتبط بمصير توماس سانكارا، رئيس بوركينا فاسو الفتي. منذ بعض الوقت، اعترف عضو مجلس الشيوخ الليبيري وأمير الحرب السابق برنس جونسون، أمام لجنة تقصي الحقائق أنه وتايلور قد شاركا في قتل سانكارا. لقد تواصلت معه من أجل سماع روايته حول هذا الموضوع.

برنس :ولكن هذا ليس جزءا من الأسئلة التي تم الاتفاق عليها مسبقا ...

سيلفسترو: إنه جزء من السؤال الأخير.

برنس :لا، إنها ليست كذلك. وعلى أي حال، يجب التمسك بجدول الأعمال المعد سلفا...

سيلفسترو: عفوا؟

برنس :لا يمكن إثارة قضية جديدة لم تذكر من قبل.

سيلفسترو: هل من الصعب عليك الإجابة على السؤال؟.

برنس :لا، لا، إن الأمر ليس هكذا.

سيلفسترو: إذن، ماذا حدث فعلا في بوركينا فاسو؟

برنس :لا، نحن ... طرحنا أكثر من قضية...

سيلفسترو: إنها قضية توماس سانكارا؟.

برنس :إنها قصة مملة.

سيلفسترو: عفوا؟.

برنس : لقد ذهبت إلى لجنة تقصي الحقائق، وأعطيت مقابلات مع وسائل الإعلام الفرنسية تم بثها في جميع أنحاء العالم، وسوف أكرر ما قلته حول بوركينا فاسو.

سيلفسترو: أفهم ذلك، ولكن أرجوك الإجابة على السؤال.

برنس :لقد واجه رئيس بوركينا فاسو جميع أنواع المشاكل، وأنا لا أريد الخوض في ذلك مرة أخرى. الى جانب ذلك، إذا كنت تريد حقا أن تعرف ما حدث في بوركينا فاسو، لماذا لا تذهب هناك وتسأل الرئيس بليز كومباوري ... أنت جزء من وسائل الإعلام الدولية، فأنت مثل الطبيب، الذي يجب أن يصل إلى الحقيقة. لذلك، اذهب إلى بوركينا فاسو ... (نوبة هستيرية من الضحك) .

المعلق: بعد ذلك، تبدو الكاميرا ظاهريا مغلقة...

برنس :لقد كانت هناك مؤامرة دولية للتخلص من هذا الرجل، واذا قلت لـك كيـف حدث هذا، فهل تعلم أن حياتك قد تتعرض للخطر على أيدي أجهزة المخابرات ؟.

سيلفسترو: مؤامرة دولية. لأن الحقيقة سوف تؤثر على الرئيس بليز كومباوري. ففي عام ١٩٨٧ عندما اغتيل سانكارا، كان كومباوري أفضل صديق له. والطريف أنه بعد وفاة سانكارا مباشرة ، قال كومباوري «كنت مريضا».

المعلق: لقد سرد كل من مومو وألين أمامي ما حدث بالضبط.

ألين : لقد كان رئيس غامبيا يحيى جامع، وبليز كومباوري، وتوماس سانكارا، ودومينغو جونجوريه، و ... فودي سنكوح، فضلا عن رجـل مـن تشـاد، لا أذكـر اسمه، يتدربون جميعا في ليبيا وكانوا جميعا أصدقاء. إنهم هم الذين قـادوا في الواقـع ثورة بوركينا فاسو وثبتوا سانكارا رئيسا للبلاد. وفور اعتلائه سـدة السـلطة، عـزم على تحقيق أهدافه وتنفيذ خططه. وكما تعلمون فإن الولايات المتحـدة اختـرقـت حركات التحرر وقررت الإطاحة بسانكارا، الذي ذهب بميوله اليساريه حدا بعيدا جدا. لم يكن الأميركيون سعداء بتوجه سانكارا. لقد كان يتحدث عن تأميم مـوارد بلاده ليستفيد منها شعبه. كان الرجل اشتراكيا حتى النخاع.

مومو: لقد طلب مني تايلور الاتصال بالرئيس سانكارا للمساعدة في الاسـتيلاء على السلطة في ليبيريا. في مقابل ذلك ، نقدم فرص أعمال مربحـة.بيـد أن تومـاس سانكارا لم يكن مهتما وطلب منه مغادرة البلاد. قال له إنه لن يساعده وطلب منـه أن يجد نقطة انطلاق أخرى لتمرده. جونجري ، وزير دفاع بوركينا فاسـو ، وبليـز كومباوري، وتشارلز تايلور، والرئيس التشادي الحالي ... تعلمون من هو؟

سيلفسترو: نعم.

مومو :نعم، هو أيضا.

سيلفسترو: نعم.

مومو: اجتمع هؤلاء جميعا في موريتانيا لمدة يوم كامل وقد انضم إلـيهم لاحقـا رجل أبيض من باريس.استمرت المناقشات، ومن ثم كان هنـاك اجتمـاع آخـر في

ليبيا، حيث تمت مناقشة مشكلة سانكارا بتفصيل أكثر. لقد كان واضحا ضرورة الانطلاق من بوركينا فاسو، وهو ما يعني حتمية التخلص من سانكارا، وأن يصبح بليز كومباوري رئيسا، وهو ما يعني توفير يد العون لنا..

سيلفسترو: وهل كان القذافي موافقا على هذه الخطة؟

مومو :نعم، نعم ... من فضلك تذكر، يجب أن تظل هذه المعلومات سرية.

سيلفسترو: نعم، نعم...

مومو: إذا ساعد القذافي تايلور، وتعهدت فرنسا بدعم الانقلاب ... بل والأفضل من ذلك، إذا قدمت فرنسا الأموال وأشارت إلى أنها ستعترف بحكومة كومباوري، فإن كل شيء يصبح على ما يرام. لقد أمر بليز الجنرال جونجري بتجهيز مجموعة من القوات الخاصة، ويساهم تايلور بمجموعة أخرى، وهكذا تم تدبير الانقلاب.

سيلفسترو: هل كانت فرنسا هي الدولة الوحيدة المشاركة؟

مومو: كانت فرنسا متورطة تماما .

سيلفسترو: وماذا عن الولايات المتحدة ووكالة الاستخبارات المركزية؟

مومو :أنا لست متأكد من ذلك ... أنا لا أريد أن أقول لكم أكاذيب.

ألين :الأمريكيون والفرنسيون دعموا الخطة. كان هناك أحد عملاء السي آي إيه ، كما أن السفارة الأمريكية في بوركينا فاسو كانت تعمل بشكل وثيق مع الاستخبارات في السفارة الفرنسية، واتخذ الجميع قرارا حاسما.

سيلفسترو: حتى وكالة المخابرات المركزية والمخابرات الفرنسية...

ألين : لقد قرر جهاز المخابرات الفرنسي القضاء على سانكارا. تلك هي الحقائق.

مومو : أرسلوا رجالهم، وبعض القوات الخاصة، وبعد ذلك كان هناك برنس جونسون، وأنا. كنا نتواصل باستخدام جهاز اتصال لاسلكي، كان لدينا كل المعلومات عن سانكارا ... عندما غادر المنزل، وعندما عاد ... كان كل شيء مخططا.

سيلفسترو: هل كنت هناك معهم؟

مومو :بالطبع، كنت في بوركينا فاسو، وكنت جزءا من هذه العملية.

سيلفسترو: وهل كنت موجودا عندما اغتيل سانكارا؟.

مومو:بالطبع، كنت في الغرفة عندما تم اغتياله.

سيلفسترو: ماذا تتذكر عن تلك اللحظة؟.

مومو: ضاحكا.

سيلفسترو: هل كان سانكارا ينتظر لقاء بليز كومباوري؟

مومو: لا، لم يكن لقاء ... كانت هناك مناقشات مهمة تجري.

مومو : عاد بليز كومباوري إلى الوطن في تمام منتصف الليل، ولكنه كان حاضرا، وعلى استعداد للعمل مع الآخرين ... دخل الغرفة وأطلق النار.

ألين: لقد أطلق الرصاصة الأولى ... كان سانكارا جالسا وتحدث لبعض الوقت مع كومباوري الذي وقف على الطرف الآخر من الطاولة. ثم انطلقت الرصاصة الثانية، عندها سقط سانكارا في كرسيه وفارق الحياة .. ...

مومو : كنت حاضرا عندما قال توماس سانكارا: «بليز، لقد كنت أفضل صديق لي، وأنا أدعوك أخي، ولكنك اليوم تقتلني». التفت إليه بليز بغضب وقال شيئا له باللغة الفرنسية – أنا لا أفهم الفرنسية بشكل جيد جدا – ثم أطلق رصاصة واحدة.

ألين :إذا لم يطلق بليز كومباوري النار على سانكارا، لفعل جونجري ذلك، ولأصبح هو رئيس بوركينا فاسو. لقد كان هذا كله جزءا من سياسة أمريكا في السيطرة على بوركينا فاسو.

المعلق: على كل حال، هناك شيء واحد مؤكد: ذهبت محاولة سانكارا بناء دولة مكتفية ذاتيا لتعود بوركينا فاسو مرة أخرى واحدة من أفقر البلدان في العالم.

ملحق رقم (٥)

أنا أفريقي[١]

ثابو مبيكي

أنا مدين بكياني إلى التلال والوديان، والجبال، وأراضي الغابات الواسعة، والأنهار، والصحارى، والأشجار، والزهور، والبحار والفصول المتغيرة باستمرار والتي تحدد وجه الوطن.

تجمد جسدي في الصقيع وفي الثلوج التي هطلت في اليوم الأخير. بيد أن أشعة شمسنا أذابت ذلك كله، أذابته حرارة الشمس في منتصف النهار. أصوات دوي رعد الصيف هادرة. ضربات البرق المفزعة كانت سببا للخوف والأمل معا.

العطور الطبيعية فواحة فهي على مقربة من الزهور البرية لمواطني هضبة الترنسفال الخضراء.

الأشكال المثيرة للدراكنزبرج (جبال التنين) والمياه الملونة بلون التربة في ليكوا وايجيلي وثوكيلا ورمال كغالاغادي، تشكل جميعها لوحات على مسرح الطبيعية والذي نؤدي عليه الأفعال الحمقاء بشكل يومي.

في بعض الأحيان،وفي لحظات الخوف، أتساءل عما إذا كان ينبغي لي أن أتنازل عن حق المواطنة المتساوية في بلادنا إلى النمر والأسد، والفيل والظبي، والضبع، والأفعى السوداء والبعوض المزعج.

(١) ألقي خطاب أنا أفريقي« من قبل ثابو مبيكي، نائب رئيس جنوب أفريقيا في ذلك الوقت ،نيابة عن المؤتمر الوطني الأفريقي في كيب تاون يوم ٨ مايو عام ١٩٩٦، بمناسبة إقرار الدستور الجديد لجنوب أفريقيا. وكان مبيكي خطيب التحرر الوطني الذي شبه في براعته الخطابية بمارتن لوثر كينغ (ترجمة المؤلف بتصرف).

الوجود الإنساني بين كل هذه المخلوقات علامة على وجه أرض الوطن، وبالتالي هو أمر محدد، وأنا أعلم أن لا أحد يجرؤ على أن يتحداني عندما أقول : أنا أفريقي!

أنا مدين بكياني إلى خوي وسان[1] التي تخيم أرواحهم البائسة على مساحات كبيرة من الكيب الجميلة - إنهم وقعوا ضحية أكثر نظم الإبادة الجماعية التي لا ترحم على الإطلاق في أرض الوطن، وهم كانوا أول من يفقدون حياتهم في النضال للدفاع عن حريتنا واستقلالنا، إنهم ،كشعب، هم الذين لقوا حتفهم في النهاية.

إننا اليوم، كدولة، نلوذ بالصمت تجاه هؤلاء الأجداد من الأجيال التي عاشت، خائفة من الاعتراف بهول الفعل السابق، ونسعى لأن نطمس من ذاكرتنا حدثا قاسيا، يجب أن يعلمنا تذكره أن لا نكون أبدا غير إنسانيين مرة أخرى.

إنني أنتسب إلى مهاجرين تركوا أوروبا بحثا عن منزل جديد في أرض الوطن. مهما كانت تصرفاتهم الخاصة، فإنهم لا يزالون جزءا من كياني.

تجري في عروقي دماء عبيد الملايو الذين جاءوا من الشرق. كرامتهم التي كانت موضع فخر بها أهتدي، وتشكل ثقافتهم جزءا من تكويني. ولاتزال آثار ضرب سيد العبيد على أجسادهم محفورة في وجداني تذكرني بما لا ينبغي القيام به.

أنا حفيد المحاربين من الرجال والنساء تحت قيادة هينتسا وسيخوخوكي، والوطنيين الذين دفع بهما ستشوو ومفيفيو إلى المعركة، وجندية موشوشو ونجوجوياني،والذين علمونا أن لا نخجل أبدا من قضية الحرية[2].

لقد تشكل عقلي وفكري من خلال الانتصارات التي هي بمثابة جواهر تاجنا الأفريقي ،الانتصارات التي كسبناها من إيزندالوانا إلى الخرطوم، سواء باعتبارنا أثيوبيين أو أشانتي في غانا، أو باعتبارنا بربر الصحراء.

(١) هما من شعوب البانتو ، وبينما يطلق على السان من الناحية الثقافية اسم البوشمن فإن الخوي رعاة هوتنتوت.

(٢) أسماء زعماء تقليديين.

أنا الحفيد الذي يضع الزهور النضرة على قبور البوير في سانت هيلانة وجزر البهاما، الذي يرى بعين الاعتبار ويعاني معاناة بسطاء الفلاحين، والموت، ومعسكرات الاعتقال، والمساكن المدمرة، والحلم الذي لم يتحقق.

أنا طفل نونجكوسي .أنا الذي جعل بالإمكان التجارة في الأسواق العالمية للماس، والذهب، وفي نفس الطعام الذي طالما كانت تتوق له نفسي.

أنا سليل أولئك الذين تم نقلهم من الهند والصين، والذى ارتبط وجودهم فقط بحقيقة أنهم كانوا قادرين على توفير العمل البدني، الذين علموني أننا يمكن أن نكون داخل الوطن أو أجانب في نفس الوقت ، الذين علموني أن الوجود الإنساني نفسه يتطلب أن تكون الحرية شرطا ضروريا له.

نظرا لكوني جزءا من كل هؤلاء الناس، ومع العلم بأن لا أحد يجرؤ على تحدي هذا التأكيد، سوف أصدع قائلا : أنا أفريقي .

لقد رأيت بلادنا ممزقة إربا ، وهؤلاء جميعهم من أبناء شعبي، يخوضون ضد بعضهم البعض معركة جبارة، أحدهم يصلح الخطأ الذي وقع فيه آخر، والثاني يدافع عن ما لا يمكن الدفاع عنه.

لقد رأيت ما يحدث عندما يمتلك شخص قوة تفوق الآخر،عندما يحاول الأقوى الحصول على امتيازات لإبطال سنة الله في خلقه حيث خلق الرجال والنساء على صورته.

إنني أعلم ماذا يعني استخدام العرق واللون لتحديد من هو الإنسان، ومن هو الأقل مرتبة في الإنسانية.

لقد رأيت تدمير كل إحساس باحترام الذات، وهو ما يعني أن يصبح المرء على غير حقيقته، فقط لمجرد الحصول على بعض الفوائد التي استطاع أولئك الذين ميزوا أنفسهم باعتبارهم سادة التمتع بها.

لدي خبرة بالحالة التي يستخدم العرق واللون فيها لإثراء البعض وإفقارالبقية.

لقد رأيت فساد العقول والنفوس في السعي حثيثا وبطريقة وضيعة لارتكاب

جريمة حقيقية ضد الإنسانية.

لقد رأيت تعبيرا ملموسا عن حرمان الإنسان من كرامته ناشئ من الوعي جراء الأنشطة المنهجية والقمعية للبعض الآخر من بني البشر.

هناك موكب الضحايا دون أدنى قناع لإخفاء الحقيقة - المتسولون، والعاهرات، وأطفال الشوارع، وأولئك الذين يسعون لتعزية أنفسهم بتعاطي المخدرات، وأولئك الذين يدفعهم الجوع للسرقة، وأولئك الذين يتخلون عن سلامة عقولهم لأن العقل هو مدعاة للألم.

ولعل الأسوأ من بين هؤلاء، الذين هم شعبي، أولئك الذين تعلموا القتل مقابل أجر. فالموت بالنسبة لهؤلاء يتناسب طرديا مع رفاهيتهم الشخصية.

وهكذا، مثل الأحجار على رقعة الشطرنج، يكونون في خدمة النفوس المريضة، يقتلون لتعزيز العنف السياسي في كوازولو ناتال. إنهم يقتلون الأبرياء في حروب سيارات الأجرة[1].

إنهم يقتلون ببطء أو بسرعة من أجل تحقيق الأرباح من التجارة غير المشروعة في المخدرات. إنهم تحت الطلب عندما يريد الزوج قتل زوجته أو الزوجة قتل زوجها.

إن التسكع من أجل البحث عن فريسة بيننا هو نتاج لواقع الماضي غير الأخلاقي - القتلة الذين ليس لديهم الشعور بقيمة الحياة البشرية والمغتصبين الذين لديهم ازدراء مطلق لنساء بلادنا ، والحيوانات الذين يسعون للاستفادة من ضعف الأطفال، والمعاقين وكبار السن والمحبين للمال الذين يسعون لإثراء أنفسهم مهما تحملوا من صعاب.

كل هذا وأنا أعلم وأعرف أنه صحيح لأنني أفريقي!

بسبب ذلك، أستطيع قول هذه الحقيقة الأساسية أيضا ،وهي أني سليل

(١) يطلق اصطلاح حرب سيارات الأجرة على النزاعات التي تحدث بين روابط سيارات الأجرة ومالكي حافلات الأجرة من الأفراد.

الأبطال.

أنا سليل أناس لن يتسامحوا مع الظلم.

أنا من أمة لن تسمح بأن يؤدي الخوف من الموت والتعذيب والسجن والنفي أو الاضطهاد إلى إدامة الظلم.

إن الجماهير العظيمة المؤلفة من أبائنا وأمهاتنا لن تسمح بأن يؤدي سلوك البعض إلى وصف بلدنا وشعبنا بالهمجية.

تصبر لأن التاريخ إلي جانبهم، هذه الجماهير لا تقنط لأن الطقس اليوم سيئ كما أنها لا تتحول للانتصارات عندما تشرق الشمس غدا.

لقد عاشوا مهما كانت الظروف من خلال وبسبب تلك التجربة، إنهم عازمون على تعريف أنفسهم من هم وما ينبغي أن يكونوا عليه.

نجتمع هنا اليوم للاحتفال بانتصارهم في اكتساب وممارسة حقهم في صياغة تعريفهم بأنفسهم : ما الذي يعنيه أن تكون أفريقيا.

يؤكد الدستور الذي نحتفل بإقراره، بأسلوب لا لبس فيه، أننا نرفض قبول أن تتحدد أفريقيتنا استنادا على العرق أو اللون أو الجنس أو الأصول التاريخية.

إنه التأكيد الحازم الذي قطعناه بأنفسنا على أن جنوب أفريقيا تنتمي إلى كل البيض والسود الذين يعيشون على أرضها.

إنه يعطي تعبيرا ملموسا عن مشاعرنا المشتركة كأفارقة، وسوف ندافع حتى آخر رمق عن حق الشعب في الحكم.

إنه يعترف بأن كرامة الفرد هي على حد سواء هدف موضوعي يجب أن يسعى المجتمع إلى تحقيقه، وهدف لا يمكن فصله عن الرفاهية المادية لهذا الفرد.

إنه يسعى إلى خلق وضع يكون فيه جميع أبناء شعبنا متحررين من الخوف، بما في ذلك الخوف من بطش جماعة وطنية معينة على جماعة أخرى، والخوف من عدم تمكين نظام اجتماعي من قبل نظام آخر، والخوف من استخدام السلطة الدولة لحرمان أي شخص من حقوقه الإنسانية الأساسية، والخوف من الطغيان.

إنه يهدف إلى فتح الأبواب حتى يتمكن أولئك الذين كانوا محرومين من تبوأ مكانهم في المجتمع على قدم المساواة مع إخوانهم في الإنسانية دون النظر إلى اللون أو العرق أو الجنس أو السن أو المكان الجغرافي.

إنه يوفر الفرصة لتمكين كل واحد وللجميع من التعبير عن آرائهم، وتشجيعهم ، والسعي من أجل تحقيقها في عملية الحكم دون خوف من أن الرأي المخالف سوف يتم قمعه.

إنه يؤسس المجتمع الذي يحكمه القانون والذي يجب أن يكون معاديا للحكم التعسفي.

إنه يمكن من حل النزاعات بالوسائل السلمية بدلا من اللجوء إلى القوة.

إنه يعبر عن الفرح بتنوع شعبنا ويخلق مساحة بالنسبة لنا جميعا للتعبير عن أنفسنا طوعا كشعب واحد.

باعتباري أفريقي، فإن هذا هو الإنجاز الذي أفتخر به، أفتخر دون تحفظ وأفتخر دون أي شعور بالغرور.

إحساسنا في هذه اللحظة بالارتقاء عاليا مستمد أيضا من حقيقة أن هذا المنتج الرائع صنعته ببراعة الأيدي والعقول الأفريقية .

ولكنه يحذرنا من عواقب الغرور، على الرغم من إغراء الذات باعتبارنا جزءا استثنائيا من الإنسانية، ويمكننا من الاعتماد على الخبرة المتراكمة والحكمة البشرية جمعاء، لنحدد لأنفسنا ما نريد أن نكون.

جنبا إلى جنب مع أفضل ما في العالم، فإننا عرضة أيضا لصغائر الأمور،والمكابرة والأنانية وقصر النظر.

ولكن يبدو أننا نظرنا إلى أنفسنا وقلنا إن الوقت قد حان كي نبذل جهدا يفوق قدرة البشر، ولكي نخلق لأنفسنا مستقبلا مجيدا، ونذكر أنفسنا بالمثل اللاتيني القائل بأن المجد يتحقق لاحقا!

من الجيد اليوم أن تكون أفريقيا.

إنه شعور جيد أن أقف هنا باعتبارى جنوب أفريقي وكجندي في الجيش الأفريقي العملاق، والمؤتمر الوطني الأفريقي، لأقول لجميع الأحزاب الممثلة هنا، وللملايين التي أسهمت في هذا الحدث الذي نشهده ، ولمواطنينا الشرفاء الذين تحملوا عبء ميلاد هذه الوثيقة المؤسسة لدينا، وللمفاوضين الذين شحذوا ذكاءهم الواحد ضد الآخر،وإلى النجوم غير المرئية الذين أشرقوا دوما ، مثل تنظيم وإدارة الجمعية الدستورية، والمستشارين والخبراء ومسئولي الدعاية، وإلى وسائل الاتصال الجماهيري، ولأصدقائنا في جميع أنحاء العالم - التهاني وأحسنتم !

أنا أفريقي .

أنا سليل شعوب قارة أفريقيا.

آلام الصراع العنيف الذي تعاني منه شعوب ليبيريا والصومال والسودان وبوروندي والجزائر هي آلام ينبغي أن أتحملها كذلك.

عار الفقر المذري والمعاناة والتدهور البشري في قارتي هي أنواء نتقاسمها.

هذه الآفة التي تعكر سعادتنا تستمد من هذا ومن الانجراف لمحيط ترتيب الشؤون الإنسانية تاركة لنا حالة من استمرار اليأس.

هذا هو الطريق الوحشي الذي لا ينبغي أن يدان به أحد.

هذا العمل الذي قمنا به اليوم، في هذه الزاوية الصغيرة من القارة العظيمة التي ساهمت بشكل حاسم في تطور الإنسانية يقول بأن أفريقيا تؤكد مواصلة صعودها من تحت الرماد.

مهما كانت النكسات في هذه اللحظة، لا شيء يمكن أن يمنعنا الآن ! مهما كانت الصعوبات، يجب أن تكون أفريقيا في سلام! ومع أن ذلك قد لا يبدو واردا من قبل المشككين، فإن أفريقيا تزدهر!

على الرغم ممن نكون، ومهما كانت مصلحتنا المباشرة، ومهما كان حجم ما نحمله من ميراث ماضينا، ومهما كنا نعاني من وجود السخرية وفقدان الثقة في قدرة الشعب، دعونا نخطئ اليوم ونقول - لا شيء يمكن أن يوقفنا الآن!

نبذة عن المؤلف

د . حمدي عبد الرحمن حاصل على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعتي القاهرة وميرلاند الأمريكية بنظام الإشراف المشترك عام ١٩٩٠ .

- يعمل حاليا أستاذا للعلوم السياسية بمعهد دراسات العالم الإسلامي في جامعة زايد، دبي منذ عام ٢٠٠٢ ، وهو أيضا أستاذ العلوم السياسية في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة. وقد أسس وأدار برنامج الدراسات المصرية الأفريقية بجامعة القاهرة خلال الفترة من ٢٠٠٠- ٢٠٠٢ .

-حائز على جائزة الدولة المصرية في العلوم السياسية عن كتاب 'قضايا في النظم السياسية الأفريقية ، مركز دراسات المستقبل الأفريقي ، القاهرة ، مصر ، ١٩٩٨ .

- أشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه في العلوم السياسية في

مصر وخارجها.

- نائب رئيس الجمعية الإفريقية للعلوم السياسية في بريتوريا (٢٠٠١-٢٠٠٥)، وهو أيضا عضو المجلس الاستشاري للشبكة السويدية لدراسات السلام والصراع والتنمية.

-شارك في العديد من المؤتمرات الدولية وله العديد من الدراسات والكتب المنشورة باللغتين العربية والإنجليزية، منها: - الاختراق الإسرائيلي لإفريقيا، منتدى العلاقات العربية والدولية، ط١ ،٢٠١٥-مصر والتنافس الدولي في أفريقيا. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ٢٠١٤،- « الحركات التبشيرية في أفريقيا: رؤية معرفية»في كتاب المسبار:التبشير في المشرق وأفريقيا: مراجعة نقدية ورؤية متعددة الأبعاد،مركز المسبار للدراسات والبحوث ، نوفمبر ٢٠١٤.- القوة الناعمة الآسيوية: هيمنة جديدة في أفريقيا؟، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، العدد ٢٤٦، مجلد ٢٣ ، ٢٠١٣. الاتحاد الأفريقي والنظام الأمني الجديد في أفريقيا(أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، العدد ١٦٢ من دراسات إستراتيجية، ٢٠١١) ؛ العرب وأفريقيا في زمن متحول (القاهرة : دار مصر المحروسة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩)؛ الاتجاهات الحديثة في دراسات النظم السياسية: أفريقيا نموذجا (عمان: المركز العلمي للدراسات السياسية ،٢٠٠٨)؛ أفريقيا وتحديات عصر الهيمنة: أي مستقبل؟ (القاهرة : مكتبة مدبولي،٢٠٠٧).